التمايز في التغطية الإعلامية لثورات الشارع العربي

د. كامل حسون القيم
أستاذ الإعلام والاتصال – جامعة بابل – العراق

«إن هذه الفضائيات أو لنقل العديد منها فوجئ بالثورات كما فوجئ السياسيون والمراقبون حول العالم».

مقدمة

في ظلّ المتغيرات التي تجرفنا بها وقائع ثنائية الأنظمة والشعوب، حتى كدنا نلهث من متابعة ما يجري، أين كان كل ذلك؟ وأين كانت تلك الرموز المفزعة من قبيل الحكام والرؤساء والسياسيين؟ وأين الكذب الذي تكفلت به الشعوب العربية على أنّها أقوى الأمم، وأعلم الأمم، وأنزه الأمم، من قاموس اخدعهم فارتضوه؟

الأمور في هذه المرحلة مقلوبة، فالسلطات للمرة الأولى تتوسل الاتصال بالشعوب، والسلطات للمرة الأولى تتخفى من الإعلام، والسلطات للمرة الأولى عبر التاريخ تصبح هي المتلقي والشعب هو الفضائية والصورة والصحيفة، في الوقت الذي تَعَوْلمت، على الأقل انتشرت في الشارع العربي، كلمات هي أجمل ما سمعنا من هذا الإجماع (الشعب يريد... ارحل... كفانا فقراً... محاسبة الفاسدين... حقوق الفقراء... تعديل الدستور...)، أعلام الأوطان ورموزها تتعالى... رحمة ربانية تحلّ لكشف ماكينة سرعة الإطاحات، ولتنظيف الوجوه من كذب الشاشات وملّ الكلمات، دواء لم تقنصه حتى ميثيلوجيا الحضارات القديمة... لكن البو عزيزي، بعربة خضاره، أعطانا أغلى جرعة للتطهير ولكنس الوجوه الكالحة، الكاذبة، الجالسة بردّ الفعل، تعفر وتعولم الشارع العربي لأول مرة كالضوء مسرعاً وواثقاً... ومبدعاً.

عصفت بالواقع العربي جملة من المناخات جعلت الثورات ممكنة وسريعة كما أرادها الشباب العربي

أيام ملؤها الجمال والرموز والدماء، أيام شعوب لا تُنسى، فكل شبر في ميدان التحرير ودوارة اللؤلؤة وجامعة صنعاء وساحات طرابلس، وما تحت نصب الحرية والفردوس سيضيء بعضاً من نور، أيام كان الإعلام فيها فارساً مرة وجباناً مرّاتٍ أخرى، إعلام كان يرجّف الطبول ويكشر عن أنياب القتلة والفاسدين، ويغض الطرف عن الشرفاء والمصلحين... الإعلام بطل تلك الأيام والدقائق واللحظات، هو الذي يكشف وهو الذي يُعرّي وهو الذي يُمجّد، إذا ارتدى عباءة الدفاع عن الرأي العام وتلحّف بقداسة المهنة، على أنَّه مُراقب السلطة وحارس الشعب.

التجارب قدمت لنا أمثلة جبارة لقطبَي الصراع، وسائل إعلام أرادت سحق الناس بالصورة والدعاية، حجبت سيل الدماء وصعق الهراوات، وصنعت أوكسجين البقاء حتى لدقائق للطغاة والنائمين والفاشلين (كما في تونس ومصر والبحرين وليبيا واليمن والعراق). عجيب ميدان الإعلام هذا، الذي في الغالب يحتكم إلى تلك الثنائية، أسير الممول وأسير الحاكم وأسير التوجه، كله باسم الشعب والأمن الوطني والشرعية الدستورية والسلم الاجتماعي، موسيقى حكام سيُجرَفون. عجيب هذا الذي يتمادى ويتغاضى عن سحق عظام الأطفال وأحلام الشباب بحياة كريمة، وخنق البوح بما يفسد المسؤول، تلك السلطنة التي صنعوها لهم وهم لا يستحقون. ونحن نُحيّي ونُمجّد ونتطلع إلى من يتماثل مع الإعلام الذي أسقط حكومات، وزجّ برموز السياسة الدولية في محاكم لا تنتهي، الإعلام الذي يؤمن بأنه محامي الشعب وفي مواجهة السلطة إذا انحرفت.

مثّلت الثورات العربية واقعاً سياسياً وإعلامياً جديداً، لا في المنطقة فحسب، بل في الاستراتيجيات والتخطيط وحرب المعلومات الناعمة للقوى الكبرى.

من الخطأ القول إنَّ الشارع العربي لم يكن مهيأ أو معبأ للتغيير وإحداث الانقلاب الجذري الذي عشناه بكل حرفياته بكل لاعبيه وقنواته، فليس الواقع هو ما يجعل هذا الشارع ينصاع أو يبحث عن ملاذ جيد للتطلع إلى العالم الجديد والتواصل معه، بعد أن فقد الثقة بالزمن وبالقيادات وبالواقع المؤلم المنكسر في النهاية؛ فالعوامل التي وسمت تلك الثورات ليست خافية، وليست غير منظورة من وجهة النظر السياسية أو من وجهة نظر العلوم والأبحاث المستقبلية، لكنها كانت غير مضاءة من الناحية السيكولوجية والاتصالية، التي تتعاطى مع نظريات تكوين الرأي

العام وقولبته، ومن ثم توجيهه نحو الوجهة الجبّارة هذه المرة، فقد عصفت بالواقع العربي جملة من المناخات التي جعلت الثورات ممكنة، وسريعة ومفعمة، كما أرادها الشباب، قبل أن يحوّلوها إلى واقع حقيقي نعيش تفصيلاته اليوم، فالواقع العربي كان مغّلفاً ومُؤطراً بأدوات ردّ الفعل الآتية:

من الخطأ القول إن الشارع العربي لم يكن مهيأ أو معبأ بكتل التغيير لإحداث إنقلاب جذري

1: الانكسار النفسي على مستوى الصراع العربي-الإسرائيلي ومستوى التعامل البارد والمخجل مع هذا الملف، راكم الشعورَ بالذنب وعقدةَ الحراك في اتجاه واقع يقلب المعادلة؛ فأفق التقارب والتطبيع للأجيال السابقة لم يعد بالضرورة مربحاً استراتيجياً للأجيال الحالية، التي ترى وتقرأ الانكسارات والجرائم التي تعانيها الأمة العربية على يد إسرائيل والولايات المتحدة، فالتجني والقتل والتخريب التي تلاحق سلوك هذين الطرفين في الأراضي الفلسطينية المحتلة والجنوب اللبناني والعراق والسودان، وتدخُّلات الوصاية المستدامة بالمال والسلاح واتخاذ القرارات، جعلت المشهد مفتوحاً للشعور بتصاعد صناعة واقع مقلوب وعكسي.

2: الواقع الاقتصادي المتردي وانخفاض نسب الإنتاج المحلي، الذي ألقى بظلاله على المحركات الاجتماعية الأساسية للتنمية ومنها (البنى التحتية، وارتفاع البطالة، وبؤس التعليم، وارتفاع مؤشرات الفقر) مقترنة بالوعود السياسية الكاذبة التي دائماً ما تُلَفُّ بها تقارير السلطات.

3: الفساد السياسي الذي ينخر جسد المجتمعات العربية، بالتوريث أو بتأليف الأحزاب الشكلية التي لم تهيئ بيئة سياسية ديموقراطية حقيقية. وبالتالي تُكرّر السلطات نفسها وتظهر على أنها المنقذ والأوحد والضروري، من دون استحياء أو تغيير أو شعور يحترم ويسير بأيَّ سلوك أو منحى ديموقراطي حقيقي. فمثلاً:

- يمنع قانون الطوارئ في مصر التجمع لأكثر من سبعة أشخاص إلا بتصريح من الأمن، لكن الشباب جعلوا الYOUTUBE ميدانهم. أواخر عام 2010 جرى تزوير الانتخابات، أو كما وصفه المصريون «التزوير الذي شابته بعض الانتخابات». وصلت التجاوزات إلى حد منع المنتخبين بالقوة من دخول مراكز الاقتراع واحتفل الحزب الوطني الحاكم بالفوز بـ97% من المقاعد.

شكلت الثورات العربية واقعاً سياسياً وإعلامياً جديداً

- صرّح حسني مبارك، الرئيس السابق لمصر: لقد أسعدني كرئيس للحزب ما حققه مرشحونا من نجاح، لكنني كرئيس لمصر كنتُ أودُّ لو حققت باقي الأحزاب نتائج أفضل.

وصرّح أيضاً: يظل هدفنا هو المواطن المصري في رزقه ودخله في حقوقه وكرامته ونجتهد لنخفف عنه أعباء المعيشة، «ما كلنا كنا فقراء يا أخي».

الواقع الإعلامي الجديد، الذي اتسعت فيه رقعة التلقي والإتاحة والمشاركة في صنع المعلومات واستيرادها، من خلال الفضائيات والإنترنت والمحمول، بما عمّق الهوة بين ما يحصل في المناخات الديموقراطية الحقيقية والعالم العربي.

4: إنَّ ارتفاع معدلات الإتاحة الاتصالية والنشاط الكبير في التلقي الإعلامي أوجدا حالة من التراكم، وبالتالي التسريع في تغيير الاتجاهات وتغيير الصور النمطية بشأن الكثير من الظواهر والشخوص وبات الواقع يُقرأ بعيون علمية ومنطقية، كما أوجدا المساعدة والسرعة في تكوين رأي عام منفتح وسريع ومتفاعل بما هو غير مسبوق. ولعل ذلك ساعد في تلقّي التقارير والوقائع التي تحيط بالعالم العربي من فجوات معرفية وفوارق شاسعة في البنى التحتية، ومنها تقارير التنمية البشرية، ومواقع «ويكليكس» (WIKILEAKS)، وما يُنتج من معلومات من المنظمات الدولية بشأن شدة الفقر والخمول والفساد والتدني في إدارة الموارد.

5: الواقع الإجرائي لسلوك السلطات أثناء الثورات، فالكذب والقسوة وتكرار الوعود والعسكرة، هذه السلوكيات لم تخرج عن أي إطار من طُرُق التعامل مع المشهد. فمثلاً:

- جمال مبارك/ أمين لجنة السياسات في الحزب الوطني يصرح على الملأ: استثمارات خارجية عشرة أمثال، الصادرات تضاعفت، التحويلات من المصريين في الخارج زادت، مضاعفة في عدد السائحين، مضاعفة في معاش الضمان الاجتماعي، فرص العمل تحدثتُ عنها، برنامج الألف قرية الذي وصلنا إليه، الزيادة في البطاقات التموينية، «يعني مش معقولة كل هذه القضايا مجتمعة مش إيجابية»؟!.

- **صمّم أحد الشباب صورة كأنها شاشة الجزيرة تعلن رحيل مبارك يوم الثورة، سارع النظام إلى شنّ حملة مضادة وزّع فيها نصف مليون ملصق وربع مليون قميص تأييداً لمبارك، أما مبارك فقد هاتف الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز معزياً بوفاة زوجته، قائلاً: «اعلم أنَّ**

كثيرين من المصريين يفكرون بك في هذه الأوقات الصعبة».

- **مشاركة على *FACEBOOK*: «هو إحنا بنفكر فيك إنت علشان نفكر في صاحبك الإسرائيلي! وانت تعرف إيه عن المصريين أساساً! ومين الكثير من المصريين دول اللي أنت بتتكلم عنهم؟! هو أحمد عز وصفوت الشريف دول مصريين وكثير كمان»؟!!**

عناصر الثورات العربية لم تكن خافية على وجهة النظر السياسية والأبحاث المستقبلية ولكنها لم تكن مضاءة من الناحية السيكولوجية والإتصالية

6: النمذجة (المحاكاة) التي عملت على نشر أدبيات التظاهر وفنونه؛ فتونس أعطت الدرس البليغ للشارع المصري، وكذلك للشارع الليبي والبحريني في أدبيات التعامل مع رموز التعبير فشهدنا فنوناً اتصالية سحرية بحق، لرفع التأثير ولتعجيل جرعات تشكيل الرأي العام.

- **مشارك على *FACEBOOK*: «أنا حانزل يوم *25* في ثورة مصر الحقيقة السلمية الأولى، أنا مستعد للموت وعارف إنَّ الحرية مش بالمجان وزي ما كان في شهداء في تونس مستعد أكون أول واحد علشان حرية مصر وكرامتها».**
- **مشارك على *FACEBOOK*: ممكن تشيلوا كلمة تونس من الورقة بجد علشان لما ربنا يكرمنا ما نقولش عملنا زي تونس ولا التوانسة يقولوا دول قلدونا.**

الجرعات المنشطة التي حقنتها وسائل الإعلام الإلكترونية (الواقع السبراني الفضائي)، الذي عمل على تغطية الأحداث بين النقل الاحترافي والتغطية المحايدة والمهنية، والتحريض الذي مثّل سلوكاً غير مسبوق لخروج بعض وسائل الإعلام على انفعالات الموقف وطبيعته، هذه العوامل وغيرها عوامل كثيرة مهّدت لشرارة تكوين رأي عامّ فوري، وهذا الرأي الجارف اتخذ موقفاً صريحاً مجاهراً بالإصلاح ومن ثم التغيير ومن ثم إسقاط النظام.

الإعلام يدخل على الخط

واقع «سبراني» فوري، جميل ومؤثر، ومتصاعد للكشف والتحري والمساءلة، كان الإعلام بوسائله النشطة ومهارة التفعيل والتوظيف عبر أدوات التواصل الاجتماعي الرقمية كالفايسبوك والتوتير واليو تيوب...، قد جنى ثماره. لقد أفرزت لنا أحداث الثورات الأخيرة جملة من الحقائق ونُظماً جديدة للسلوك والإدارة الإعلامية، الإعلام

الذي يطهّر وينظّف البلدان والشعوب المقهورة من وهن الضعف والخذلان والفساد وخنق حريات التعبير وحقوق المواطَنة، إعلام يرشق السياسيين بالأحذية الناعمة والخشنة، وبمخلفات فسادهم وجهلهم وقسوتهم نحو الشعب، لقد تعلّمنا ونتعلّم من هذا المناخ معنىً ومنصة جديدة (للتوظيف الإعلامي)، وما يندرج تحته من مهارات وقدرات وفنون، وتعلمنا كيف ينخذل ويترنح إعلام السلطة الذي يلهث وراء إرضاء الهيبة والبقاء على حساب حقوق الناس وبهاء عيشهم. رأينا بعض القنوات التونسية والمصرية والليبية والبحرينية واليمنية الرسمية، تريد أن تعطي الرؤساءَ بعض الساعات كي يبقوا فراعنة، تنتقي لهم، وتصنّع، وتضخّم، وتبسّط، لكن ذلك كان فاتراً وخجولاً وعاهراً أمام حقيقة ما يجري، وإزاء إرادات قوى التغيير في ميدان التحرير، وراحت تضع له علامات و»روتوش» بالصور والكلمات التي لا تنفع أمام المدفعية الفضائية، التي كان العرب، كل العرب، مرماها استيراداً وتصديراً، في الوقت الذي أُطبق فيه الخناق على حرية التغطية الإعلامية وحرية انسياب المعلومات من شوارع الثورات للإعلاميين، وقطع الاتصال عبر الإنترنت وشبكات الاتصال المحمول، وأخيراً الخناق على الاتصال الجمعي، برفع ساعات الحظر.

عصفت بالواقع العربي جملة من المناخات التي جعلت الثورات ممكنة وسريعة ومفعمة

كانت السلطات المصرية (مثلاً) تتوسّل المصريين متابعة للقنوات الحكومية على حساب القنوات الدولية والعربية، التي كانت تنقل الأحداث وتناقشها بتغطية رائعة شاملة ومتنوعة (إنه مخيال الإبداع في علم الاتصال الحديث)، فالكاميرات والصور الفوتوغرافية، والمحمول، وقصاصات الورق، وشعارات الشوارع، وارتسامات الوجوه، والموسيقى الوطنية، والأرشيف البطولي لرموز وطنية واسلامية، والأطفال... إلخ، كلها معينات سمعية وبصرية أجهدت السلطات، وفتحت آفاق الانتفاضة بتسارع ولحظة بلحظة، بطريقة غير مسبوقة.

وفي حادث دراماتيكي أرادت به عوامل متعددة أن تطيح أحد رموز الهيمنة المستدامة على رقاب الشعوب، الفساد، والتسلط وخنق الحريات، حاث ولّد دموعاً وسلوكاً مكبوتاً، كسرة خبز لشاب تونسي فقد صوابه من ملاحقة السلطة وجبروتها، أدت إلى انتحاره جراء التعسُّف والجوع والحرمان، وقبلها ما نشره موقع «ويكيليكس» عن الصفقات والثروات التي يتنعم بها المقربون من عائلة بن علي، ما أشعل وتيرة الرأي العام التونسي في تعديل المسارات التي كان الرئيس التونسي قد

تغنى بها في إعادة الإصلاح الاقتصادي والسياسي. مرة أخرى تعطينا وسائل الإعلام دروساً رائعة عن أنَّ جبابرة السياسة والمارقين والمفسدين، لا يمكن أن يصمدوا أمام الصورة الإعلامية، تلك الصورة التي هزّت وأشعلت مكامن رأي عام كان مكبوتاً وحائراً ومخنوقاً، ومن شرارة صغيرة، ومن هتك إنساني كان الفعل أعتى من مخططات وأبحاث مراكز البحث السياسي، في تقدير وضبط (صبر الشعوب ولعق جراحها)، كان الشاب محمد البو عزيزي هو من افتدى نفسه حرقاً، تعبيراً عن الجور والحرمان، ومن ثم تبعه آخرون، أحدهم في الثانوية بعدما أحرق نفسه في إدارة المدرسة، تضامناً مع فعلة البو عزيزي، وآخران في ليبيا والجزائر تضامناً وتصاعداً مع ماكينة نقل المضمون المباشر إلى الإعلام المرئي والإلكتروني بشأن تداعيات الواقعة.

الواقع العربي كان مغلفا بالإنكسار النفسي والإقتصاد المتردي والفساد السياسي

هكذا يتنامى الرأي العام (الكامن ليغدو مفاجئاً وفورياً)، يشتعل ويضغط من دون لون أو رائحة أو تخطيط، هكذا تعمل وسائل الإعلام وبالمصالحة معه وباحتضانه، تضع صورتها وتغطيتها قصدية كانت أم عفوية مطرقة فوق الحكام والسياسيين وتشعل جذوة كشف الأخطاء تغذي وتنعش حزم الذاكرة بلقطات التسخين الجماهيري، هكذا بلورت وسائل الإعلام الرأي العام وصقلته وفجرت فيه الحقائق والبيانات والتصريحات بالصورة، والخبر والتعليق والبث المباشر، وكوّنت للشارع قادة رأي يُحرّكون الأحداث ويقودون التغيير بدعم من منظمات المجتمع المدني وقوى الشغل (النقابات في تونس).

كان هذا الحدث بحق أصدق صورة وأعمق درس على أنَّ الإعلام بدأ ينخر خفايا السياسة، ويعصف بالملفات السرّية والوعود الكاذبة التي يطلقها السياسيون، ويعلّق عليها الزمن لافتة التجميد والتأجيل، الشعوب تغيرت وتنامت ذاكرتها، بعدما وفّر لها الإعلام ووسائله المختلفة المرئية منها والإلكترونية قدرة استرجاع الحكايات، التصريحات، الأرقام، السلوكيات، العدالة التي ينشدها الله في خلقة، والمسؤولية في توزيع الثروات وحق العمل والتعبير، وعلى الرغم من حدوث التغيير في تونس نتيجة كسرة خبز... وصورة.

قالها الشعب التونسي بقواه الوطنية الإسلامية منها والعلمانية نعم نحو التغيير، نحو الكرامة والتنمية الحقة ومكافحة الفساد وإطلاق الحريات المكفولة من الدستور، وإيقاف الوعود التي نحن العرب نعشقها عشقهم للشعر، وما أكثر الشعر السياسي

لدينا. بلدان نخرها الفساد حتى خجل، وبلدان صنعت للقادة والرموز على حساب المهمشين، أمراض العصر الإلكترونية والإعلام الفوري المزعج للقادة، لا تمنح الوقت ولا تتيح لهم التوبة؛ فحار بن علي في طائرته، بين مالطا وفرنسا والدوحة، وخجلت كل سماء الأرض من استقبال المارقين والفاسدين وقاتلي الشعوب ومعذبيها، فحتى الدولة الكبرى الراعية له ولأمثاله، الولايات المتحدة، بمكر ودهاء سياسي باركت إرادة الشعب التونسي بالتغيير بحسب بيان الخارجية، وتنكرت لمعقلها في المغرب العربي.

يتنامى الرأي العام الكامن ليغدو مفاجئاً وفورياً فيشتعل ويضغط دون تخطيط

البعد الاتصالي في تعبيرات الثورات العربية

إذا كانت الأدبيات السياسية قد وضعت مفاهيم تكوين الرأي العام من منطلق خزائن الحضارات القديمة، ومن تظاهرات وتعبيرات المجتمعات قبل الرقمية، فإنَّ العصر الحديث قد أضاف وراكم الكثير من أدوات والتعبير اللحظي في بقاع العالم المتعددة.

وقد دخل شباب الثورات التاريخ، حينما أغنوا وعمّقوا التعبيرات الحديثة لصهر وإعادة تركيب الرأي العام وسبل وقنوات إدماجه، باعتباره وقود الثورات والإرادات، فهو المعبر وهو القياس لنوع المطالب والتغييرات وشدتها ومستقبلها.

هكذا كان العناق بين محرّكات البحث في بيوت الشباب، ومخيالهم الجامح بالجديد والمؤثر والممتع يصنع مفردات تصاعد وكثافة المؤيدين (المندمجين) مع مطالب العامة. لقد حقق الاستخدام السياسي للإنترنت أعظم انتصاراته، حينما كان مرافقاً للشباب، وأينع بذرة ربما ستكون دولية على مستوى التفاهم والاتفاق وصنع ميكانزمات التواصل الاجتماعي نحو قضايا العالم عموماً، والعوالم الصغيرة خصوصاً.

فبينما كان العالم يودع العام 2010، وقع تفجير أمام كنيسة القديسين في الإسكندرية خلّف عشرين ضحية ونحو مئة جريح، بعد أسبوع من التفجير دعا الشباب على الإنترنت إلى وقفة صامتة لمدة ساعة عند كورنيش الإسكندرية، واستجاب العشرات صغاراً وكباراً ولم يتدخل الأمن. دعت إلى هذه الوقفة صفحة الـ FACEBOOK «كلنا خالد سعيد»، إنَّه الشاب الإسكندري الذي انهال عليه

الإعلام العربي بدأ ينخر في خفايا السياسة ويعصف بالملفات السرية والوعود التي يطلقها السياسيون

شرطيان بالضرب حتى الموت، ثم ألقيا به في الشارع جثة هامدة، فتحولت قضيته إلى قضية عامة بعثت غضباً في قلوب الملايين، ودوّت في الفضاء الإلكتروني صرخة «كلنا خالد سعيد». لم يكشف مديرو الصفحة عن أسمائهم أو توجهاتهم السياسية، ما جذب مئات الآلاف إلى الصفحة بأسماء حقيقية ومستعارة، وكُشف في ما بعد أنَّ مديري الصفحة الرئيسيين هما الشابان وائل غنيم وعبد الرحمن منصور، وأضاف تعذيب وقتل شاب إسكندري آخر هو محمد سيد بلال في قسم الشرطة، زيتاً على النار ودوّت صرخة أخرى في الموقف ذاته «كلنا سيد بلال».

وكان ذهول العالم واضحاً، حينما تسمرّ على الشاشة يراقب ما يجري في الفضاء العربي، لقد أدهش هذا الفعل مراكز الأبحاث الدولية، إذ إن هذا الموقف الدراماتيكي لم يظهر على بارومتر القياس السياسي والاجتماعي لتلك المراكز. أكثر من 200 مركز بحثيّ في الدول المتقدمة وإسرائيل، تراقب يومياً وتتابع وتصنع أدوات التحريك في جغرافيا العالم العربي، لكنها أخفقت هذه المرة في استلام الإشارة، وأخفق في الرهان على أنَّ العرب لا يحسنون أو يفرحون بالتغيير.

الصحافة الأميركية بقيت مذهولة، وعبّرت عن دهشتها في أول الأمر، ثم حاولت إيجاد مخرج لعدم الحسابات هذا؛ إذ انعطفت على ملاحقة الأخبار والتقارير التي بقيت لأيام في طور التحالف مع قياداتها الصديقة (تونس، مصر، البحرين)، ومن يلاحظ تصريحات الخارجية الأميركية، يرى اللعب بالتصريحات بحسب قوة المخلوع وموقف عناد الشارع، ومن ثم حينما تلوح الإطاحة في الأفق، فتركب الموجة وتصبح ثائرة ومباركة للثوار. ومن خلال المتابعة والرصد اليومي للأحداث، اتسمت ثورات الشارع العربي بحراك اتصالي متنوع ومتجدد وبقوى اتصالية جديدة منها:

1: الإنترنت وبالتحديد صنع رموز الثورة (لوغو) وإرسالها، وإنتاج المزيد يومياً معزَّزة بالصور والشعارات وبلغات مختلفة. جرى تناقُل تلك الرسائل على الفيسبوك والتويتر واليو تيوب:

- الأول هرب والبقية تأتي.
- **مشارك على *FACEBOOK*: «اللي عندهم في الغرافيكس يصمّموا تصميمات تشجع الناس تنزل».**
- **مشارك على *FACEBOOK*: «دي منشورات يعاقب عليها القانون، خدوا بالكم اللي حيتشاف وهو بيعلق المنشورات دي حيروح وراء الشمس صدقوني، إنتم مش قد الناس اللي ماسكة البلد اعقلوا كده وبلاش تودوا روحكم في داهية».**

«أمراض» العصر الإلكترونية والإعلام الفوري المزعج للقادة لا يمنح الوقت ولا يمنح التوبة

- عبده عبد المنعم في الـ48 من العمر من السويس، قرر أن يكون بوعزيزي مصر فأشعل النار في جسده احتجاجاً على الغلاء، أنقذه الناس ونقلوه إلى المستشفى.
- في 21 كانون الثاني/يناير 2011، أكد أكثر من سبعين ألفاً، أنهم سيشاركون في يوم الثورة، وأرسل المئات منهم صورهم وأسماءهم الحقيقية... لقد كسروا حاجز الخوف. وأضيف TWITTER لتمكين الشباب المتظاهرين من معرفة آخر التطورات عبر هواتفهم المحمولة.

2: البوسترات الضخمة التي حملت رموز إسقاط النظام عند تهاويها مثل الرؤساء والفاسدين وأعضاء الحكومة.

أزال الأمن بعض صور جمال مبارك من وسط القاهرة، تحسباً للتظاهرات وألقي القبض على موزعي بيان 25 كانون الثاني/يناير.

3: فنون الخط والكاريكاتير الصوري والبوسترات وقطع المقوّى الأنيقة منها والبسيطة، والملابس والأعلام وحاميات الرأس، هذه كلها رموز تثير العاطفة في اتجاه المناصرة وتوحي بالإجماع.

4: الموسيقى والرقص والتمثيل والمسرح والهتافات، استُخدمت للترويج من جهة وللتعبير عن الرفض والمقت للوضع السياسي القائم.

5:. المجسمات الشخصية والأزياء والنكات:

مشارك على *FACEBOOK*: نكتة: الحكام العرب عاملين اجتماع وبيفكروا يفتحوا صفحة على الـ *FACEBOOK* للتضامن عنوانها «كلنا زين العابدين بن علي». والصور ومقاطع الجمل التي قيلت أو وعدت بها الشعوب، إضافة إلى الأغاني الوطنية والأناشيد التي أراد بها الثوار إرجاع الذاكرة إلى الحروب والأزمات مع إسرائيل، كنشيد حرب النكسة وحرب تشرين، وقصائد تُرتَجل (اخرج على الظلم اللي جاير....، اخرج وعندك مئة سبب، مصر الحبيبة بتندهك وتبلغك).

6: المواقع الميدانية لتوزيع المؤن والمستشفيات الميدانية وطواقم الحراسات والمراقبة وجهات التنظيم وتأليف الشعارات، كلها معينات كانت ترمز إلى وحدة المكان والانتقال من المكان الطارئ إلى المكان الثابت والأبدي.

7: كتابات الشوارع، وإن كانت طريقة تقليدية لكنها تنمّ عن ثبات الشعارات وصعوبة إزالتها من قبل الأنظمة، وقد كانت من الذكاء بالطريقة التي استخدمت عبارات الرفض والمطالبة بلغات مختلفة، وذلك لفتح شهية كاميرات المراسلين الأجانب

◀

دخل شباب الثورات العربية التاريخ حين أغنوا وعمقوا التعبيرات الحديثة لصهر وإعادة تركيب الرأي العام وسبل وقنوات إدماجه

في ترجمة شدة الغضب واتساعه.

التمايز الإعلامي في التغطية

في معرض مقالاتها ذكرت «واشنطن بوست» في الأيام الأولى للثورة التونسية»، «أن ما يجري في تونس ليس في الحسبان، ونخشى أن يمتد إلى شوارع العرب، ومن هنا على البيت الأبيض أن يعيد رسم خرائط ودراسات مستقبل المنطقة».

وعلى الرغم من أنَّ مجلة» تايم» قد اختارت الثورة المصرية مثلاً، من بين 10 ثورات المؤثرة في العالم، لم تخفِ خشيتها من متغيرات السياسة المصرية ما بعد الثورة، ما يتعارض مع السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، وتصف تلك الخشية بالقول «... إنَّ مصر ما بعد التحرير تحدت محاذير الولايات المتحدة وموقفها من طهران، فأعلنت إقامة علاقات دبلوماسية مع إيران، مشيرةً إلى أنَّ العدائية المصرية تجاه طهران، كانت تساهلاً من الرئيس السابق حسني مبارك مع رغبات الإدارات الأميركية المتتالية، ولا ترى الحكومة المصرية الجديدة سبباً وجيهاً لاستمرار الخصومة تجاه نظام يحظي بالشعبية في الشوارع العربية».

وإذا كانت التغطية للثورات العربية لصالح القنوات الفضائية بامتياز، فإن الوسائل الإعلامية الأخرى قد لاحقت التفاصيل بالرأي والتحليل، وخصوصاً الصحافة المطبوعة، والمواقع الإخبارية عبر الإنترنت، الذي كان شريان دفق التواصل اليومي لشباب الثورة.

وإذا أردنا التحدُّث عن التمايز في تناول مفهوم الثورات وفنون التغطية لتفصيلاتها، لا بد لنا من أن نضع المقدمات الآتية أسباباً لهذا التمايز، فليس من المعقول أن نضع دائماً حيادية التناول، وموضوعية التحرير والاستخدام الرمزي، على أنَّه خالٍ من الضغوط في أبعادها المختلفة، ويمكن أن نفترض أن أسباب ذلك التمايز تكمن في الآتي:

8: يخضع الإعلام العربي بمؤسساته لمصادر تمويل، سواء أكانت مشروعات خاصة أم مملوكة للدولة، ولعنصر التمويل هذا، بحسب التنظير الإعلامي، دور في انتقاء أسلوب التحرير والمعالجة، لا سيما اتجاهات المراسل والمُحرِّر.

9: التباين في إمكانات الوسيلة الإعلامية من حيث توافر أجهزة النقل (SNG)، والمكاتب والاستوديوهات وتقنيات المعالجة الأخرى، ومستوى خبرات المراسلين والمصوّرين في طُرُق التناول، وكفاءة العلاقات العامّة للكوادر العاملة في منطقة الحدث، وقد رأينا التبايُن في أسلوب التغطية والتزويد بالأخبار الخاصة مثلاً (بين تغطية الثورة

المصرية عنها في اليمن)، سواء أكان لقناة «الجزيرة» أم غيرها.

10: الزخم والمتابعة والتعويل على التزويد بطبيعة الأخبار والتقارير، التي يتم رسمها في كواليس الإدارة الإعلامية، وكجزء(من سياسة القناة)، وهنا يدخل التحريض ويتداخل بين رؤية البراءة الإعلامية للمراسل وبين التخطيط الدعائي لإرادة القناة.

حقق الاستخدام السياسي للإنترنت أعظم انتصاراته حينما كان مرافقا للشباب العربي

11: الوفرة والإتاحة في استخدام الأجهزة والمعدات التي تستلزمها التغطية الفورية للأحداث، وعدد أفراد الكادر وتوزيعهم، ومعلوماته المسبقة، عن كل ما يتعلق بسيناريو أقطاب الثورة، وأمكنتها ورموزها وردود أفعالها.

12: مستوى المؤسسة في حجم التلقي (القاعدة الجماهيرية)، ومدَيات التعويل والتفاعل بين المؤسسة الإعلامية والجمهور (FEED BACK)، أو ما يُسمّى التغذية المسترجعة، وهو عنصر أساس لشكل التغطية، فالكثير من القنوات الإعلامية غطّت التظاهرات، لكن مستوى التلقي كان قد انحصر على 5 قنوات على رأسها «الجزيرة» و»العربية» مثلاً، هذا الزخم يعطيها الأولوية وارتفاع الاهتمام من عناصر التغطية من مسؤولين ومشاركين وشهود عيان.

13: مستوى الحرية السائدة في ساحة التظاهر وسلوك قوى الأمن، أو الدولة في السماح أو عدم السماح بالتغطية، وقد وجدنا أنَّ جميع الحكومات قد ضربت طوقاً على حراك الإعلاميين، والمراسلين، بل جرى قتلهم أو اعتقالهم أو تجريدهم من أدواتهم، وهذه الشيمة ليست جديدة، وهنا تؤدي الخبرة والعلاقات العامة دوراً في التغلغل في ساحات التظاهر، وكسب بعض عناصر التغطية والقصص الخبرية التي تسود في ثنايا الأحداث.

14: المنافسة والتباين مع الإعلام الحكومي (المحلي)، فمن جهة يجري العمل على احتكار الأخبار واللقطات التي يمكن أن توظف لمصلحة النظام والإعلاميين حكوميين أو حجبها. فكل الثورات تتحدث عن واقع مغاير لما يجري ويوصف المتظاهرون بأوصاف الخارجين عن القانون، أو القاعدة، التيارات الأصولية، أو على أنهم جزء من «المؤامرة الخارجية» أو طبخة الدول الكبرى، وغيرها من الأوصاف والصور التي أراد الإعلام الرسمي أن تكون هي الصورة النمطية السائدة في الأوساط التي لم تتحرك بعد، ونرى أنه كلما كانت المغايرة شديدة نجح الإعلام غير الحكومي في إبراز عاطفة الشارع وميوله واتجاهاته، وهو ما عُمِّم على كل الأنظمة التي ثار عليها المتظاهرون.

15: كانت كاميرات الإعلام والتقارير أسرع بكثير من خطب السياسيين وفلسفتهم

أثناء الأحداث، فلم تجد الخطب والوعود وطلبات الحوار والتهدئة مساحة إنصات، إزاء ماكينة الصور الحية لما يجري من قتل وبلطجة، وسلوك شائن تجاه المتظاهرين، ما جعل دائرة الصراع ثلاثية (الثوار، والحكومة ووسائل الإعلام).

كان ذهول العالم واضحاً خلال تسمره على الشاشة وهو يراقب ما يجري في الفضاء العربي

كل تلك العوامل تجعل التغطية الإعلامية تسير بمعايير مختلفة، لأن إراداتها مختلفة، بالأخص في ما يتعلق بهوية القناة ومن يقف خلفها وسياستهما، فمثلاً كان لـ«الجزيرة» و«العربية» الثقل الكبير في التغطية اللحظية لثورات تونس ومصر واليمن، سواء ما تعلق منها بالحجم أو النوع، فساعات البث الكبرى ولأيام غطت مئات التقارير ومئات الحوارات، إضافة إلى البث المباشر لما يجري في شوارع تونس والقاهرة وليبيا، لكنها في المعيار الإعلامي («الجزيرة» مثلاً)، انغمست في التحريض ولم تكتم صبرها في إرادتها في التغيير بأي طريقة، فقد وصفها خبراء وأكاديميون بالمشارك الفعلي في إسقاط النظام، من جهة أخرى نراها تغض النظر عن التظاهرات التي جرت في البحرين بطريقة عجيب؟ ولم تتطرق لا من قريب أو بعيد (حتى بـ«سبتايتل») إلى أحداث الكويت والسعودية وعُمان والدليل على ذلك:

طالب عدد من الإعلاميين والنشطاء قناة «الجزيرة» بتغطية أحداث السعودية والبحرين وسوريا بكل حيادية وموضوعية، وعدم الارتباط بأجندة قطر كدولة، وذلك من خلال بيان نُشر على الفايسبوك والتويتر، ودعوا كل المستخدمين إلى التوقيع عليه تحت عنوان «إلى قناة الجزيرة من شباب الثورات العربية».

من جانبها، انتقدت صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية تغطية قناة «الجزيرة» الفضائية القطرية للثورات التي اندلعت في الدول العربية، مؤكدة أن «القناة القطرية التي نالت الإشادة بتغطيتها المكثفة لأحداث الثورات العربية، توشك أن تفقد صدقيتها بين طوائف العالم العربي، بسبب تغطيتها الأحادية الجانب لبعض هذه الأحداث»، وأوضحت الصحيفة–في تقرير نشرته وأوردته على موقعها الإلكتروني–أنَّ تغطية «الجزيرة» الإخبارية المبادرة والمكثفة للثورات التي هزت منطقة الشرق الأوسط، والتي من المحتمل ضلوع القناة في تأجيج معظمها، نالت الإشادة لأنها كانت تنقل الأحداث بحذافيرها. وقال جوزيف مسعد الأستاذ في السياسة العربية الحديثة في جامعة كولومبيا، «في دول عربية أخرى، وقفت «الجزيرة» بوضوح إلى جانب التظاهرات، لكن في البحرين تظاهرت القناة في نقلها لتطورات الأحداث هناك بالحيادية بينما كانت

تدعم النظام البحريني في المضمون والانتقاء».

ثورات الشارع العربي اتسمت بحراك اتصالي متنوع ومتجدد وبقوى اتصالية جديدة

ويرى أسعد أبو خليل مؤلف نشرة «العربي الغاضب» أنهم «فقدوا صدقيتهم في العالم العربي، إما بتغطية التطورات من جانب واحد أو بتجاهلها تماماً، لقد أصبحوا محطة نظام نموذجية».

وأوضح النقاد أنَّه بينما تقترب التظاهرات من معاقل القناة، تتعرض استقلالية القناة في نقل تطورات الأحداث للخطر، وعلى الرغم من دعمها بعض التظاهرات ضدّ بعض أنظمة الحكم العربية طويلة الأمد، بدا من الواضح أنَّ الشبكة الإخبارية ورئيسها، غيّرا من خططهما عندما تعلّق الأمر بتهديد مملكة أخرى في الخليج، وأوضح المديرون التنفيذيون لـ«الجزيرة»، أنَّ البثّ الإذاعي للقناة بالعربية وقناة الجزيرة للأخبار العالمية بالإنكليزية، يعملان باستقلالية تامة بعيداً عن التحكم القطري، لكن لمّح المذيعون في القناة إلى أنَّ القناة التي تمتلكها الإذاعة القطرية تقع تحت قيادة ابن عمّ أمير قطر، معيدين إلى الأذهان الوثيقة السرّية الشهيرة التي سرّبها موقع «ويكيليكس»، والتي كشفت علناً أنَّ السفارة الأميركية عام 2009، وصفت قناة الجزيرة بأنها «أداة للتأثير القطري».

في السياق ذاته أطلّت الإعلامية السورية لونا الشبل المستقيلة من قناة «الجزيرة»، على شاشة التلفزيون السوري من خلال برنامج «لقاء خاص»، واتهمت قناة «الجزيرة» بخيانة الأمانة الصحافية، وبأنَّها تلفق الأخبار التي تبثّها بشأن الأحداث في سوريا.

وقالت الشبل في البرنامج بحس بما نقلت «بوابة الأهرام»، إن هناك مخططاً لإطاحة نظام الأسد منذ فترة إدارة الرئيس الأميركي السابق جورج بوش الابن، مدعية أنَّ دول الخليج خائفة من الحلف الإيراني–السوري، وتموِّل وسائل الإعلام وتوجّهها إلى نسف هذا الحلف.

لم يُفوّت جمهور موقع «اليوتيوب» «السقطة» المهنية التي وقعت فيها قناة «الجزيرة» الإخبارية، عندما نشرت مقطعاً تلفزيونياً قالت إنَّه لتعذيب سجناء في أحد السجون اليمنية، ليتبيّن في ما بعد عدم صحة انتساب هذه المشاهد إلى اليمن، وليتضح أنها صور متلفزة عنيفة لتعذيب السجناء العراقيين خلال فترة حكم صدام حسين للعراق، وهي نفسها المشاهد التي كانت قناة «العربية» قد بثتها في عام 2007، بحسب ما تظهر تواريخ نشر المقاطع على اليوتيوب. من جهتها، اعترفت قناة «الجزيرة» بهذا الخطأ لكن على استحياء، عبر إعلان أنَّ حادثة التعذيب وقعت في بلد آخر، من دون الإشارة

إلى أنَّها وقعت خلال الفترة الصدّامية، أو حتى الاعتذار إلى الجمهور والجهات اليمنية المعنية بحسب ما تقتضي قواعد المهنية الصحافية.

وتكشف هذه الحادثة مدى التسرُّع وعدم الصدقية في التغطية الإخبارية، لقناة سارعت في يوم من الأيام إلى إعلان «ميثاق شرف صحافي» داخل الإعلام العربي. غير أنَّ التغطيات الأخيرة لهذه القناة كشفت تبنّيها الواضح للأسلوب الدعائي التحريضي في تغطية أحداث الثورات العربية؛ منتهجة طرائق النظرية الشمولية في الإعلام، التي ابتدعها فلاديمر لينين مطلع القرن العشرين؛ حيث يكون التحريض والتنظيم والتوجيه، أهم ركائز الإعلام بالنسبة إلى هذه النظرية، التي لا تدير بالاً إلى الصدقية كما فعلت «الجزيرة» وبعض القنوات في تجييشها المتعمّد ونشرها مقاطع يوتيوب لأحداث تظاهرات هنا أو هناك وإذاعتها أخباراً عن «شهود عيان» من دون التحقق من حقيقتها.

والغريب في الأمر أنَّ الشاهد العيان الذي يُجري اتصالاً هاتفياً خلال تغطية القنوات غير معلوم الهوية؛ وتنشر القناة اتصاله فوراً. فهل هذا من السذاجة أم أنَّه جزء من النهج التحريضي العام، الذي بات يحكم عمل القناة؟ خصوصاً إذا ربطنا ذلك بالتعليق الذي طرحه أبرز مذيعي القناة فيصل القاسم في صفحته في تويتر، عندما تساءل عن الأكثر تأثيراً في إشعال الثورات العربية؛ القنوات التلفزيونية أم تويتر وفايسبوك؟

ففي إطار موضوع الحيادية، أكّد الإعلامي ورئيس تحرير في قناة «المنار» اللبنانية محمد قازان، أنَّ تحرُّك الشعب البحريني ظُلم من القنوات العربية لأسباب عدّة إلى درجة التعتيم الكلي، الذي أظهر تغطية «المن» أكبر وأكثر تميُّزاً. وأوضح في حديث لـ«الأسبوعي»، أنّه بالنسبة إلى الحدث السوري، فإنَّ هذه التظاهرات الشعبية محقّة في مطالباتها، وإنَّ القناة غطّتها بالموازاة مع أخبار الإصلاحات التي يقوم بها النظام في سوريا، لا انسجاماً مع ما يقال عن نظرية المؤامرة، بل بناءً على وقائع التاريخ والجغرافيا التي تحكم لبنان وسوريا.

وأضاف: ينطبق هذا أيضاً إلى حدّ كبير على مصر وثورة شعبها، مع فارق أننا في التغطية المصرية ركّزنا على جوانب أغفلها بعض الفضائيات، وربما هي تتعلق بمستقبل مصر على صعيد سياستها الخارجية، لا سيما في ما يتعلّق بالصراع العربي-الإسرائيلي والعلاقة مع قطاع غزة، وحركات المقاومة في المنطقة، فيما كانت غالبية الفضائيات ربما تصف هذه الثورة بثورة الخبز والحرية، وتغفل عن قصد أو عن غير قصد هدف استعادة الكرامة المصرية المهدورة، سواء في

تغطية الثورات العربية كانت لصالح القنوات الفضائية

اتفاقية كامب ديفيد، أو اتفاقية تصدير الغاز المصري، أو مسار اعتقال المقاومين اللبنانيين والفلسطينيين داخل السجون المصرية، إضافة إلى تآمر نظام حسني مبارك على المقاومة اللبنانية والفلسطينية في حربَي تموز/يوليو (2006) وغزة كانون الأول/ديسمبر -كانون الثاني/يناير (2008 . 2009).

وضمن سؤال وُجه إلى المحرر صالح الأزرق في قناة «الحوار» اللندنية، ألم تكن تغطية الفضائيات العربية لهذه الثورات، انطلاقاً من دوافع سياسية وإيديولوجية؟ يقول: "لا ينكر أحد في مجال العمل الإعلامي، والفضائي تحديداً، وجود أجندات لأيّ فضائية في العالم، ولا سبيل إلى وجود إعلام كالماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة، لكن الفيصل هنا، ألا تُخلّ هذه الأجندة لا بالمهنية ولا تُناقض الوطنية، وتنحاز دائماً إلى الناس والحقيقة. من هنا كان الانحياز إلى الناس في تونس ومصر سهلاً على معظم الفضائيات، باستثناء الفضائيات الرسمية التي انتظرت حتى بعد سقوط العروش، لتعدّل بوصلتها رويداً رويداً، أو بعض الفضائيات (قناة «المستقلة» مثلاً) التي ظلت حتى قبل سقوط المخلوع بن علي بساعات، تتحدث عن بن علي بشيء من «الرأفة»، وبأن الحوار هو الحلّ، فيما كانت الثورة تتقدم نحو وزارة الداخلية، ولم تعدّل من تغطيتها إلا بعد تأكُّدها من أنَّ بن علي أضحى من الماضي.

ويرى الأزرق أنَّ مشهد الثورات في تونس ومصر، الذي بدا خالياً من التعقيدات والعوامل الخارجية، وتعاطى معه الإعلام بقدر كبير من المهنية والموضوعية، اختلف عنه عندما انتقلت الاحتجاجات إلى البحرين، ثم إلى سوريا وأقل منها في اليمن، حيث دخلت عوامل أخرى إلى اعتبارات بعض الفضائيات".

وفي العراق، عكست مثلاً قناة «العراقية» (وهي تمثل إعلام الدولة)، في يوم التظاهر (الجمعة 25 شباط/فبراير)، أداءً محبطاً بعدما وضعت على نفسها لافتة (أنا تائهة... أنا غير معنية... ما الذي يجب فعله)، وقد تابعنا أداءها العجيب في استمرار صمتها على مدى ساعات الصباح والظهيرة، وهي تتنقل بين برامج على طريقة (دعنا نرضي الحكومة) وأطاحت كل مهنية ومسؤولية كانت منتظرة منها كأداة لها حظوة الجهات الحكومية في التنقل والتغطية واقتناص ما يمكن أن يديم الوصل مع الوضع السياسي وقتذاك. لم نرَ تغطية ميدانية، ولم نرَ احترافاً في موضوعية الانتقاء، ولم نرَ تغطية متكافئة، ولم نرَ جغرافية الأحداث في العراق في وقتها ولحظها الفضائي، ولم نرَ جهد مكاتبها المترامية في المدن والعواصم العربية... ماذا كانت تفعل؟

كانت كاميرات الإعلام والتقارير أسرع بكثير من خطب وفلسفة السياسيين أثناء الأحداث

وبشأن تغطية التظاهرات، يرى حاتم النقاطي، وهو باحث وأكاديمي في مجال الصورة، مجيباً عن سؤال: هل هي موجهة أم مخبرة أم محرضة أم مرتبطة بأجندات خارجية؟ يلفت النقاطي إلى أنَّ تغطية الإعلام الناطق بالعربية، وتحديداً قنوات الجزيرة والعربية وفرنسا 24، هو تناول غربي ومن زاوية أيديولوجية، أي نظرة سياسية تحاول أن تجعل لهذه التغطية خلفية أيديولوجية. ويضيف: أذكر بالتحديد قناة «العربية» التي يحركها رأسمال سعودي، هذه القناة تحاول أن تجعل أكبر محرك لهذه الثورة الخلفية الإسلامية «السنية»، وبالنسبة إلى قناة «الجزيرة» أعتقد أنها قناة «شعبوية» تحاول أن تجعل صدى الشارع متجانساً مع تصوراتها المعرفية والأيديولوجية. فمثلاً التهجُّم على المخلوع بن علي في تونس قبل الثورة، كان نتاجاً لسياسته الاستفزازية وللبعد الديني والعروبي لهذه القنوات، وكذلك الأمر مع حسني مبارك ودعم الثورة ضده انطلاقاً من هذا الخلاف والتباين الأيديولوجي.

وفي الوقت الذي أدى فيه التلفزيون المصري الرسمي دوراً تحريضياً ضد الثورة وشبابها وأهدافها، كان آندرسون كوبر يظهر على شاشة الCNN محرضاً في الاتجاه المعاكس ضد نظام الرئيس السابق حسني مبارك، ومادحاً ما يقوم به المتظاهرون في ميدان التحرير وغيره من تجمعات الثورة. وانتقدت صحيفة «لوس أنجلوس تايم» تغطية كوبر، وقالت الصحيفة المرموقة: إنَّ «كوبر كان يصف بيانات حكومة مبارك وأفعالها بالكذب، فقد وصف كوبر النظام المصري بأنه كاذب 14 مرة في ساعة واحدة. أما ليز تروتا من شبكة FOX الإخبارية، فقد قالت :»إنَّ أيَّ مراسل يعرف جيداً، أنَّه يجب ألا يعبّر عن رأيه الخاص في الأحداث التي يغطيها، وهناك فرق بين عرض ما يحدث واتخاذ موقف مما يحدث، ويجب ألا ينقلب المراسل إلى صاحب رأي، أعرف ما هي أجندة آندرسون كوبر! وما هي الأهداف التي جعلته يقف في جانب الثوار من خلال طريقة عرضه ما يجري».

أما موقف إسرائيل، فقد عبرت عنه جريدة «يديعوت أحرنوت»، عن مسؤولين كبار إبان الثورة المصرية في إحدى الافتتاحيات: «إنَّ الرئيس المصري السابق حسني مبارك كان بمثابة «كنز استراتيجي» للدولة العبرية، مستدلين على ذلك بموقفه من الحصار على غزة، وإغلاق معبر رفح، والتعاون الأمني المستمر بين مصر وإسرائيل، مباشرة أو مروراً بالولايات المتحدة».

"يديعوت أحرنوت" : الرئيس حسني مبارك كان كنزاً استراتيجيّا للدولة العبرية

الاستنتاجات

1– تمايزت التغطية الإعلامية للثورات العربية بحسب مصادر التمويل والسياسة الإعلامية التي تحكمها.

2– كانت «العربية» و«الجزيرة» أكثر القنوات العربية من حيث

التغطية، وأكثرها من حيث التمايز، وخصوصاً ما تعلق بثورة البحرين ودول الخليج الأخرى.

3– انطلق بعض وسائل الإعلام العربية الأخرى وساهمت بفاعلية في رفد المتلقي العربي والمحلي بأحداث الثورات، برؤى مختلفة عما يجري تناوله في «العربية» و«الجزيرة»، كقناة «الاتجاه» العراقية، و«الحوار» اللندنية، و«الحرة»، و«المنار»، و«الآن».

4– اتسم التمايز بشكل احترافي لا تقليدي، لا من ناحية ساعات التغطية فحسب، بل في انتقاء موضوعات التقرير أو الخبر، أو تكراره، أو الأخذ بوجه النظر الحكومية بطريقة أكثر تركيزاً، أو الحجب التامّ والجزئي، كما حدث في أحداث البحرين والعراق وعُمان بالنسبة إلى قناتي «الجزيرة» و«العربية».

5– ظهر التمايز واضحاً بالنسبة إلى المراقبين والمحللين للقنوات الأجنبية والعربية، منها التي كانت في أحيان كثيرة تحرّض وترسم حدود العنف، ولا النظام في وسط الهياج الشعبي وسماء التغيير.

6– البعد السياسي والطائفي الديني بدا واضحاً، في أساليب وتكثيف وانتقاء المضمون الإعلامي في متابعة سير الأحداث.

7– استخدام مصوَّرات وأحاديث المتظاهرين الشخصية (إعلام المواطن)، بطريقة عالجت النقص في التغطية التي منعتها القوى الأمنية والسلطات في ساحات التظاهر، ما تسبب بانقلاب في طُرُق التحرير والانتقاء وتحرير الصور والحديث وتقنيات العرض، ما رفع من درجات التأثير الاجتماعي نحو الأحداث.

8– التمايز في التغطية امتدّ إلى البرامج والقصص الخبرية حتى بعد نجاح الثورات/لإعادة التأطير، أو لرسم صور جديدة للتأثير أو لإرجاع قناعات أخرى، بحسب المنظر الدعائي للقنوات.

المصادر المعتمدة في البحث

1– ملفينل–ديفلير وساندرابولر وكتش، نظريات وسائل الاتصال، ترجمة: كمال عبدالرؤوف، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1992.

2– د. نبيل عليوه ونادية حجازي، الفجوة الرقمية: رؤية عربية لمجتمع المعرفة (سلسلة عالم المعرفة 318)، الكويت، 2005.

3– غاريهارت، القوة الرابعة، ترجمة محمد التوبة (الرياض: العبيكان للنشر، 2005).

4– د. كامل القيّم: البعد الإعلامي والاتصالي للعولمة: وقائع المؤتمر العلمي الثاني للأبحاث الإعلامية، النجف الأشرف، 2008.

5– شيلدونآر جاوايزر، دليل الصحفي لاستطلاعات الرأي العام، ترجمة: هشام عبد الله عمان، دار الأهلية، 1997.

6– د. كامل القيّم، «الإعلام ينظف السياسة»، مرصد الحريات الصحفية، الموقع:
HTTP://WWW.JFOIRAQ.ORG/WOMEN_DETAILS.ASPX?ID=161&PAGE=

7– د. كامل القيم، «الإعلام الاستقصائي.. عصف لديمقراطية الفضاء»، شبكة الصحفيين العرب:
HTTP://ARABNEWSPRESS.COM/ARTICLE.PHP?ID=1218